الأدب الشعبي المفهوم والخصائص

د فاطمة الزهراء بوديسة

2.0 ماي 2024

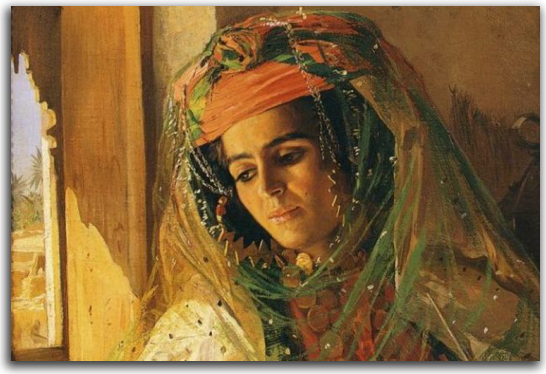

قائمة المحتويات

وحدة 3

مقدمة 4

I - ماهية الأدب الشعبي 5

1. مفهوم الأدب الشعبي 5
   1.1. تعريف الأدب الشعبي 5
   1.2. اتجاهات رؤية الأدب الشعبي 6
2. خصائص الأدب الشعبي 6
   2.1. الشمولية 7
   2.2. العراقة 7
   2.3. الواقعية 7
   2.4. الجماعية 7

وحدة

هذا الدرس موجه لفائدة طلبة ماستر 2 تخصص أدب جزائري ومن أهدافه العامة أن يكون الطالب قادرا على:

- التعرف على الأدب الشعبي.
- إدراك خصوصيته ومدى ارتباطه بالحياة اليومية وتعبيره عن الحاجات النفسية والروحية للشعوب.
- مناقشة آراء الباحثين وإبداء رأيه في اتجاهات رؤيتهم.

مقدمة

سعى الإنسان منذ القدم إلى إشباع احتياجاته النفسية وفي مقدمتها الحاجة إلى الشعور بالأمان والتقدير فعمل على التجذر في بيئة مكانية وتمسك بمسعى الانتماء إلى جماعة شعبية كما سعى إلى تلبية رغبته في التعبير عن تجاربه وعن وجدان جماعته وقيّمها العليا ونظمها الحاكمة. ومع مرور الزمن وتأثير الفضاءات وتفاعل العلاقات وتباين التجارب وتعدد الرؤى والانطباعات أنتجت كل جماعة شعبية تراثها الخاص بها والذي يعبر عن روحها وعن هويتها الثقافية وخصوصيتها الاجتماعية التي تكفل لها فرادتها وتمايزها عن بقية الجماعات الأخرى.

ويعتبر الأدب الشعبي ممثلا في فنونه القوية وأشكاله التعبيرية جزءا أساسيا من هذا التراث وبات البحث فيه من منطلق أكاديمي ضرورة ملحة وليس ترفا علميا لأنّه يصب في صلب البحث في القيم الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية التي تشكل هوية الشخصية الوطنية التي باتت مهددة من تيار العولمة والرأسمالية لذا فتوثيق هذا التراث والبحث فيه من أجل صيانته وضمان صموده واستمراره هو واجب ومسؤولية علمية تقف وراءها الاحتاجات النفسية ذاتها التي دفعت الإنسان الأول إلى التكتل والتفاعل وهي الحاجة إلى الانتماء وإثبات الذات.

ماهية الأدب الشعبي

1. مقدمة

سنتعرف في الأسطر القادمة على ماهية الأدب الشعبي من خلال التعريف وأيضامن خلال اختلاف اتجاهات رؤيته من قبل الباحثيين إضافة إلى الخصائص المميزة له.

2. مفهوم الأدب الشعبي

تعدّدت مفاهيم الأدب الشعبي بتعدد الباحثين ومجالاتهم المعرفية، فهي متقاربة أحيانا ومتباينة متفاوتة أحيانا أخرى.ولضبط مفهوم الأدب الشعبي وجب تحديد معناه المصطلحي إضافة إلى آراء مختلف الباحثين في مجالات معرفية متباينة.

2.1. تعريف الأدب الشعبي

لتحديد معنى الأدب الشعبي يلزم تفكيك تركيبه المصطلحي ومعرفة معنى كل مصطلح على حدى

a) الأدب اصطلاحا

اختلفت تعريفات الأدب باختلاف المدارس الأدبية والنقدية ورؤيتها لهذا المفهوم وما يحتويه من عناصر فكرية ولغوية وما يؤديه من وظائف نفسية وفكرية . كما عرف مدلول الأدب تطورا كبيرا عبر مراحل تاريخية وثقافية ليستقر في الأخير على أنه" ذلك الكلام الفني الجمالي رفيع المستوى من شعر أو نثر صادر عن أديب كاتب أو شاعر وخاضع لمنطق لغوي فني معين.

i) الشعبي اصطلاحا

يعرفه الباحثون بأنّه الجوهر الكامن في كل فرد من أفراد الشعب؛ أي أنّه صفة مشتقة من مصطلح الشعب فالشعبي صفة لكل ما يصدر عن الشعب قولا، ممارسة، سلوكا وتصورا للحياة وللأشياء.

انطلاقا مما تقدم يمكن القول أنّ الأدب الشعبي هو مجموعة العطاءات القولية والفنية والفكرية والمجتمعية التي ورثتها الشعوب فهو يحيا في ثقافة المجتمع الشعبي وتقاليده، ويضم الأدب الشعبي كل أشكال التعبير كالقصص والسير والملاحم الأساطير والأمثال والألغاز والنكت الشعبية والأغاني والأشعار الشعبية.

2.2. اتجاهات رؤية الأدب الشعبي

انقسمت آراء الباحثين في رؤيتهم للأدب الشعبي إلى ثلاث اتجاهات متباينة نوجزها فيما يلي:

a) الإتجاه الأول

يرى أن الأدب الشعبي لأي مجتمع من المجتمعات هو أدب **عاميتها التقليدي الشفاهي مجهول المؤلف المتوارث جيلا عن جيل.** يوجّه لهذا التعريف نقد مفاده أن التعريف قد فرض حصارا معرفيا حول مفهوم الأدب الشعبي حيث استثنى الأدب الشعبي المسجل والمذاع عبر الوسائل الحديثة كالمطبعة والتلفزة والاذاعة، كما اخرج الأدب الشعبي معروف المؤلف رباعيا المجذوب وغيرها من القصائد الشعبية التي يحرص أصحابها على ذكر اسمائهم في اواخر قصائدهم كما نفى هذا التعريف عصرية الأدب وبالتالي ابطال وجود شعراء وقصاصين ينتجون أدبا جديدا متجددا.

b) الإتجاه الثاني

يعرف الأدب الشعبي لأي أمة من الأمم بأنّه أدب عاميتها. بالنسبة للنقد الموجه لهذا التعريف فيتمثل في أن التعريف ركز على العنصر الشكلي اللغوي وهو عامية اللغة في حين اسقط كل العناصر الخارجية المنتجة للإبداع الشعبي كما أن الكثير من الأعمال الأدبية بالرغم من عاميتها فهي لا تمت للطبقات الشعبية بصلة ولا تعبر عن قضاياها كل ما في ذلك أنها أعمال موجهة لخدمة طبقة نخبوية معينة لجأت إلى العامية كأسلوب للاتصال لأغراض سياسية أو عنصرية

c) الإتجاه الثالث

يرى أن الأدب الشعبي هو ذلك الذي ارتباطا عضويا بقضايا ومشاكل وآمال وآلام الجماهير الشعبية. وبالتالي يعتبر الوعاء الفني والجمالي لروح الشعب ومصورا لحركيته الاجتماعية والثقافية والفكرية ومرتبطا بتقدمه الحضاري.

انتقد هذا الاتجاه في اهتمامه بالمضمون فقط واهماله لبقية العناصر الأخرى.

من خلال ما تقدم يمكن القول أن الأدب الشعبي بشكل عام هو أدب الطبقات الشعبية التي توارثته من أجيال طويلة، وهو أدب غني بالمغزى والرموز التي تكشف عن تجارب الفرد الشعبي مع نفسه ومع الكون كله. كما يمكن القول أيضا أنّه الأدب الذي أنتجه فرد بعينه ثم ذاب في ذاتية الجماعة التي ينتمي إليها مصورا همومها وآلامها في قالب شعبي جماعي يتماشى ونظرة الجماعة ومستواها الفكري والثقافي واللغوي وموقفها الايديولوجي إزاء المجتمع ككل.

3. خصائص الأدب الشعبي

يتمتع الأدب الشعبي بجملة من الخصائص التي يضمن له خصوصيته وتميزه عن بقية الآداب والفنون والجدير بالذكر أنّ من هذه الخصائص ماهو نسبي متغير غير قار نأخذ على سبيل الذكر لا الحصر خاصية مجهولية القائل فعلا الكثير من أشكال التعبير غير معلومة المؤلف وتنسب إلى الشعب بشكل عام لكن منها ماهو معلوم القائل كالأشعار الشعبية والأمر نفسه ينطبق على الشفاهية فلا يمكن اقصاء الأشكال التعبيرية الشعبية من الأدب الشعبي لمجرد أنّها مدونة ومن هنا لا يصحّ اعتماد هذه المميزات أو الخصائص النسبية المتراوحة خصائص ثابتة نسم بها هذا الأدب ولهذا سنعتمد فيما يلي على الخصائص الثابتة على أن نشير إلى الخصائص النسبية أكثر أثناء دراستنا لأشكال التعبير الشعبي في الدروس القادمة بإذن الله .

بالرغم من اختلاف الاتجاهات في تعريف الأدب الشعبي إلا أنّ هناك شبه اتفاق على أنّ الأدب الشعبي يمتاز بأربع مميزات نذكرها باختصار وهي :

3.1. الشمولية

يرتبط الأدب الشعبي بالذاكرة الشعبية ولهذا فهو يتميز بالشمولية فهو يحوي اللغة ا،لفلسفة الشعبية، الدين، الخبرة، السحر، التاريخ، المعتقدات، العادات والتقاليدوالطقوس، الحكمة، البساطة التلقائية، كثرة التفاصيل، المتناقضات هو نسيج فسيفسائي يتميز بالشمولية ومنه الإلمام الشامل بالظاهرة وهذه الخاصية جعلته مادة دسمة تستقطب الباحثين مع اختلاف مشاربهم وخلفياتهم المعرفية وهذا ما سنتطرق له بشكل أفضل في المحاضرةالقادمة بحول الله.

3.2. العراقة

عكس الأدب الشعبي - الذي تناقلته الأجيال واحتفظت به الذاكرة الشعبية – الطفولة البشرية بكل ما تحمله من معتقدات سحرية ومظاهر غرائبية وعجائبية وممارسات طقوسية وكل العناصر التي تحيل إلى حياة الإنسان فهو موغل في القدّم عبق بالأساطير والمعتقدات يعكس مدى ارتباط الإنسان بأرضه وبيئته وعمق تواصله الحكيم معها.

3.3. الواقعية

مع أن الأدب الشعبي غني بالرموز الخيالية والغرائبية – كما أسلفنا الذكر- إلا ان هذا لا ينفي ارتباطه بقضايا الشعب وواقعه خاصة إذا اعتبرنا أنّ ما نعده رموز هو في العمق معادلات موضوعية لما هو في الواقع كما أنّ الأدب الشعبي في بعض أشكاله التعبيرية كالأمثال الشعبية مثلا أكثر ارتباطا بالتفاصيل اليومية للإنسان وأكثرها التصاقا بالواقع وأكثرها رصدا لدقائق الأفكار والمشاعر وكل ما يرتبط بالتجربة الشعبية ومن هنا يمكن القول أن الأدب الشعبي بخاصيته هذه هو أدب الحياة.

3.4. الجماعية

حتى و إن كان المنتج الأول للأدب فرد إلا أنه سرعان ما يذوب في الجماعة لأنه يرتبط بقضاياها من جهة ولأن الجماعة تشارك في انتاج وتطوير هذا الأدب من جهة اخرى. إنّ الأدب الشعبي اجتماعي وجماعي في شكله ومضمونه، إنّ مبدعه الأول سرعان ما يذوب في الإبداع الجماعي وذلك لاقترانه بالقضايا الجماعية التي ينتمي إليها"، بل ويستمد مادته من محيطها النفسي، الاجتماعي، الثقافي، السياسي والاقتصادي، فالأدب الشعبي إذن اجتماعي المضمون وجماعي الإبداع

خاتمة

نخلص في نهاية هذه المحاضرة إلى القول أنّ الأدب الشعبي يملك من التميز والخصوصية والتشعب ما يجعله مجالا يستحق البحث والتقيب لأنه شاهد عدل على ذهنية الجماعات الشعبية ومرآة صادقة تعكس تأثير الظروف والزمان والمكان على هذه الجماعات كما أنّه تركة الأجداد للأجيال اللاحقة فيها ما يمكن استثماره أو التعلم منه لبناء غد أجمل مرورا بحاضر أفضل. كما أنّه صمام أمان يحفظ للأجيال هويتها وتفردها من المسخ والمسح في ظل النُسخ التُبع التي تهدف العولمة إلى صناعتها.